الجزء الخامس

الفصل الثاني

"حسنا.. هناك ما يعزيني.. سأراك يا رجاء وستمنحيني القوة لأنـدفع فيمـا كرست له أيامي المعدودة على الأرض.. من يدري ما تحبكه لنا الأقـدار؟.. وان لم تمهلني الحياة ورأيتها تعجل خطاي نحو الهاوية فسأحدثك بما يتوهج به قلبي.. وأرتاح أنني أغيبه بصدر أمين فلا يعصر مهجتي أنني أدفن مئات الصور والخلجات معي..

سيقيدك الى الحياة شعاع دافق من روحي تأبين عليه أن ينطفئ.. فلا يمـزق الأسى قلبك لمصيري.. بل يعزيك هدف وأطمئن نحوك.. يجب أن تحيي يا أختاه لأجلي ان لم يكن لأجلك.. ولأجل الحياة ان لم يكن لأجلي وأجلك.. ان لها علينا واجبا قدسيا بما منحتنا من موهبة!"

" أشواق السلام.. رؤاي الحالمة بغد أفضل.. أمهلني يـارب لأسـبر غـور الحياة، ولأدرك حكمتك الأزلية في هذا الكون!"..

وحين أمهلها النزف راحت تكتب رسالة لرجاء.. يجب أن تمهد لزيارتها، فلا تؤثر بها المفاجأة..

" أما تندين قلوبنا بطل من خبرك؟.. أوقدت جذوة قلقنا بصمتك، ولا يـزال موقدا.. لفحا من نار.. أما أنا فلن يهدأ لي قرار حتى أعاقبك عقابا عـسيرا على هذا العقوق.. سآتيك بنفسي أعنّفك لا بعتاب كنسيم الربيع بل بسيل من الشتائم، وريح عاصفة من الغضب.. فتوقّعي لقاء رهيبا خـلال أسـبوع أو شهر على أكثر تقدير!..

أنتظر اللحظة التي أشد بها رحالي اليك بفارغ الصبر.. ان جعبتـي مـلأى بالأخبار.. أما الآن فتكفيك هاتين الكلمتين.. جزاء وفاقا بما تضنين علينا بما يبرد الغليل!..

ماذا! أتريدين استرضائي؟ حسنا ربما غفرت لك جنحتك أو ذهلـت عنهـا، فأنت تعلمين أنني كثيرة النسيان، ان استقبلتني مخضبة الوجنتين، بخـضاب

طبيعي هه، وقد زاد وزنك باضطراد خلال خمسة الأشهر الماضية بما لا يقل عن خمسة كيلو، وبغير هذا لن تهدئي ثائرتي.. فهيا.. والى اللقاء"..

وما كادت تنتهي من كتابة الرسالة حتى دوى الجرس فهرع هشام وفتح الباب.. وسمعت سلمى لغطا في الدهليز، وصوت زوج ابنة عمتها الذي يدخل الغرفة ويفتح الباب على مصراعيه ويتبعه حمال يركز قطع سرير يزوده بفراش ولحاف وينقل الى الغرفة مدفأة وحطبا يضعها في ركن الغرفة. وأخذ أبو فراس بضم أجزاء السرير وهيأ الفراش، ونصب المدفئة، وأوقد الحطب.. وعلى شفتيه تنهال عشرات النكت.. نكات مبتكرة خشيت معها سلمى أن تنفلت بالضحك فيعاودها النزف الذي هدأ الى حين.. وجلس قرب سريرها يقلص وجهه بحركات مضحكة كبهلوان، فلا تملك أن تبتسم وتضحك والدتها وأخواها.. ويخرج من جيبه كيسا مملوءا بالسكاكر ويقول: "تفضلي على شرط أن لا تأخذي ولا حبة!"

ويشيع جوا بهيجا ممراحا.. والغريب أن كبرياء سلمى لا يصدم بتصرفه.. انه معيل وذو كسب ضئيل، ورغم هذا فهو يحمل قلبا ذهبيا فليس من اللياقة أن تجرحه في قلبه الكبير.. لا يفعل ما يفعله منة ولا فخرا ولا ابتغاء جزاء وانما إرضاءا لنزعة الخير في نفسه العميقة الإيمان وابتغاء وجه الله..

شعرت سلمى بالدفء في أوصالها.. حتى الجدران الخضراللامعة كانت تسيل عبراتها تحنانا للحرارة التي لم تعرفها منذ خرجت من أيدي الدهان..

وينصرف أبو فراس حين يؤذن المؤذن صلاة الظهر في الجامع القريب ليؤدي فيه فريضته..

وفي عصر ذلك اليوم فوجئت العائلة بقدوم عبد الرحمن. وأثّر الفرح بسلمى فعاودها النزف أمام أخيها الواجم.. لقد علم حينذاك سبب ذلك الحزن الصميمي يضغط صدره في الليلة الفائتة فعزاه لما لقي من خيبة أمل حين أغلقت الغرفة التجارية أبوابها، واستغنت عن عمله لركود الأحوال وخساراتها المتوالية..

أحست الأم أنها تستند الى ذراع قوية وعبد الرحمن قربها يـشاطرها الآلام ويولج العزاء الى قلبها ببوارق الآمال.. وفي اليوم التالي راح يجرب حظـه في البحث عن عمل..

* * *